خطاب مسعود محمد الساخر بين ماهية الحضوروفلسفة الغاية

هشيار زكي حسن [1]

[1]مركز مەلای گەورە للدراسات، جامعة كويه، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص

إن كل خطاب يمتلك آليات معينة تعمل على أحداث الضغط على المتلقي- السامع- بغية تحقيق هدف التأثير مع إختلاف كل خطاب في آلياته في الإشتغال والتواصل. ومع تعدد تلك الآليات في عملية التلفظ سواءا أكانت الشفاهية ام الكتابية فإنه يمكن أن نصف كل عملية ادبية على أنها عملية إبداعية مميزة عن غيرها حال تحقيقها الأثر المرجو منه.و لعل الاسلوب الساخر في الكتابية إحدى تلك الآليات التي تعمل على تحقيق التأثير عبر مجموعة من عمليات الإشتغال النصية .

والسخرية تعد ابرز تقنية في الفعل الحيوي للنشاط الساخر في الكتابة، كما انها إحدى أبرز فرضياتها. لذا تنهض هذه الدراسة على فرضية مواجهة النصوص النثرية عند "مسعود محمد جليزاده". ضمن مؤلف واحد وهو: إعادة التوازن إلى ميزان مختل، وما ينطوي عليه هذا المؤلف الثري من استعدادات فنية وفلسفية تؤهله على إكتساب صفة السخرية سواء أكانت بواعثها أيديولوجية أو فكرية او نفسية...الخ. لقد إستعانت الدراسة بنماذج معينة في نصوص مسعود محمد لما رأى الباحث فيها بنية ساخرة تنطوي على شفيرات ودلالات موحية، عملت على إثارة المتلقي وتحقيق الاستجابة للفعل الحيوي المرتهن في ما تثيره السخرية في معناه العريض. وما ترمي إليه من أبعاد دلالية متنوعة من الهزء والإزدراء والتهكم بل والضحك أحيانا.

مفاتيح الكلمات: أسلوب ساخر، الخطاب، الفلسفة، مسعود محمد، المفارقة

ABSTRACT

Burlesque has been a an effective tool in tackling serious topics as it is the case with Masaud Mohammad where he presented burlesque in an intellectual way, merging the serious with the absurd. Mohammad used burlesque to depict the follies, turbulence, and defects of the individual and the society as a whole. He effectively stripped off people's superstitions, delusions and fears in a way that ensures an accurate representation of instances of oppression.

Mohammad is the first to bring again to the surface forgotten historical facts of the Kurd's heritage. His style mixes the intellectually sarcastic with the philosophical esthetics of his vision. He constructively used several methods of burlesque in refuting others ideas. Among those are the Marxists who had heated intellectual debates with him and he managed in refuting their treatises by relying on logic and philosophy.

Keywords: Masaud Mohammad, Philosophy, Sarcastic Style, Speech, The Paradox

Original Article | http://dx.doi.org/10.14500/krc2019.Gen263

1. المقدمة

الخطاب في ميدان الفكر عامة والأدب خاصة يحمل مقصدية صاحبه ورؤيته وينطوي على رؤية مسكونة بالتفاعل والتجدد، فهو قبل كل شيء ملفوظ لساني يركب تركيبا خاصا يحاكي عملية منهجية في التوزيع ، إنه " مجموعة منغلقة يمكن من خلاله معاينة بنية سلسلة من العناصر. بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض" (يقطين 2005م./١٧). ولما كان التلفظ موجها صوب ذوات كائنة في الوجود أو متخيلة في وجدان المؤلف، فإن إفتراض المتكلم والسامع أمر لا مناص منه في كل خطاب. فالأول – المتكلم -يحمل من خلال ملفوظاته سواءً أكانت شفاهية أو كتابية هدفا هو التأثير في السامع بطريقة ما .

والحقيقة التي تفرض نفسها هي أن كل خطاب يمتلك آليات معينة تعمل على إحداث الضغط على المتلقي- السامع- بغية تحقيق هدف التأثير مع إختلاف كل خطاب في آلياته في الإشتغال والتواصل. ومع تعدد تلك الآليات في عملية التلفظ سواءً أكانت الشفاهية ام الكتابية فإنه يمكن أن نصف كل عملية ادبية على أنها عملية إبداعية مميزة عن غيرها حال تحقيقها الأثر المرجو منه.

ولعل الاسلوب الساخر في الكتابة إحدى تلك الآليات التي تعمل على تحقيق التأثير عبر مجموعة من عمليات الإشتغال النصية .

والسخرية بوصفها إحدى أشهر تلك التقنيات المتعارف عليها، تعد ابرز تقنية في الفعل الحيوي للنشاط الساخر في الكتابة، كما انها إحدى أبرز فرضياتها. لذا تنهض هذه الدراسة على فرضية مواجهة النصوص النثرية عند "مسعود محمد جليزاده". ضمن مؤلف واحد وهو: إعادة التوازن إلى ميزان مختل ، وما ينطوي عليه هذا المؤلف الثري من استعدادات فنية وفلسفية تؤهله على إكتساب صفة السخرية سواء أكانت بواعثها أيديولوجية أو فكرية او نفسية...الخ. لقد إستعانت الدراسة بنماذج معينة في نصوص مسعود محمد لما رأى الباحث فيها بنية ساخرة تنطوي على شفرات ودلالات موحية، عملت على إثارة المتلقي وتحقيق الاستجابة للفعل الحيوي المرتهن في ما تثيره السخرية في معناه العريض. وما ترمي إليه من أبعاد دلالية متنوعة من الهزء والإزدراء والتهكم بل الضحك أحيانا.

السخرية في أبسط مقوماتها مواجهه حادة تجمع بين مقولات صاحب الملفوظ والمادة الساخرة ، إنها كيفية تنهض على تشخيص خلل أو تقوم أعوجاج ؛ بلغة توحي من طرف خفي حينا أو تصف الظاهرة أو العادة المجانبة للحقيقة او المنافية لها من خلال صور شتى تبدأ من الرسم بالكلمات والصور الكاريوكاتورية ولا تنتهي في حد ما. إنها أدوات الناقد في عرض صوره الساخرة والاستهزاء بما حوله من مظاهر سلبية تنفتح على إحتمالات لا متناهية من العنت والجعجعة الفارغة للخصوم ، فالمجاز والكنايات والاستعارات وغيرها من الفنون البلاغية والصور في تضادها والمفارقات في حضورها والتعارضات في مثولها والأمثال والطرائف في حكاياتها نماذج لا حصر لها. تشكل مجتمعة المادة الساخرة والمعين الذي ينهل منه الناقد الساخر مادته ويختزل فيها رؤيته.

ولا نبالغ إن قلنا إن الدراسة قد لا تخلو من إشكالية تتمثل في سعة مفهوم السخرية نظرا لتشظيه في أدواته وتناوبه بين قرائن وإشارات وإرتباطات قد تكون " شفوية حينا، رمزية آخر... فالنبرة الصوتية وحركات الجسم كلها مقتربات تشكل أجزاءً للموضوع" (هامون ٢٠١٦م/ ٢). وهذه الإشكال تنأى دراستها بنفسها عنها. وتكتفي بالنصوص وإرتباطاتها وانماطهاالساخرة في إيحاءاتها المتأرجحة بين الضحك والهزء والفكاهة والدعابة والمفارقة...الخ. أما بواعث السخرية فقد لا تنتهي عند إثارة المشاعر لدى الملتقي في حالات الإضحاك أو البكاء أو التعجب أو الدهشة أو الحيرة أو ... الخ. بل تمتد إلى إحداث استجابة لتغيير المسارات الخاطئة عبر تلك الإستجابات والمثيرات العاطفية. ولا يقتصر البحث هنا على تلك المسارات ومشاعرها فحسب بل تطمع الى مكاشفة عن الأسلوب الذي يرسم رؤيته وماهية حضوره وطريقته في العرض والتحليل.

ولعل أول المطالع الواجب في تفكيكها بحثنا هذا هو بنية العنوان بوصفه ملفوظ الخطاب. و على العموم فهو بنية مزدوجة في الدلالة توحي بمعنيين يحملان بعدين هما : الشفوي و الكتابي. وهومعا يعرف بأنه "كل مكون من مظاهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما هو عداه" (فضل، 1987من 121) أو هو " نص مكتوب من مرسل إلى مرسل اليه يتضمن عادة انباء لا تخص سواهما , ولكن الرسالة اخذت تكتب لاغراض ادبية قابلة للنشر منذ القدم " (وهبة ،و المهندس 1984م :159) الأمر الذي ساعد على انتقال تلك الكتابات في ابعادها الأدبية من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي شريطة توفر عناصر ادبيتها في تشكيلاتها المتعددة وابنيتها المتعارضة.

ولمفهوم السخرية بعدان هما : اللغوي اولا والإصطلاحي ثانيا. أما المفهوم اللغوي فهو في اشهر معانيه يرد بمعانٍ منها " سَخِرَ "منه وبه- سَخِراً وسُخْراً وسُخريةً هزيء به. وفي التنزيل (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم)سورة هود/38 والسخرةُ من يسخَرُ من الناس... والسخرية.. الهزء" (مصطفى وآخرون د.ت./٤٢١]. وأما في الإصطلاح فهو " لون من الهزء وصنوف من الدعابة والهزل والمزاح في مقابل الجدية والترصن، وهي ميزة تحلى بها كثير من الأدباء على مر العصور... وعلى إختلاف ألوانها- اي صنوف السخرية- تتسم غالباً بروح النقد اللاذع إلى كونه في كل حال منسجماً لما ينطوي من جدٍ عميق يستره الهزل الرقيق والهزل الرشيق" (عكاوي2006م/٢٧٨-٢٧٩) ولعلنا في توظيفها للإصطلاح الساخر بدلا من السخرية في بنية العنوان نهدف إلى ترجيح حقيقة مفادها "أن السخرية في الإصطلاح رديف الساخر في الدلالة مع إختلاف صيغة البناء، فالساخر في صيغة الفاعلية والسخرية مصدرية. إلا أنهما بمعنى واحد" (وهبة، و المهندس 1984م /١٦٠).والسخرية في دلالاتها موصوفة بالتعدد في ألوانها. وهذا التعدد يلزم منه متطلبات، فلكل لون من ألوانها التي تفرض على الأديب الساخر توظيف ما يتناسب و الغرض المراد التمثل به في موضعه. ولا نجانب الصواب إذ قلنا إن الغاية القصوى من السخرية في الدلالة المعجمية هي قهر الآخر وتذليله وإخضاعه، وبذلك فهو مرادف للشعور بالأفضلية والنظر إلى الآخر نظرة دونية (واقف زاده 2014م ، ٣).

ومن خلال قراءة متأنية فاحصة في نصوص مسعود محمد النثرية في كتابة (اعادة

Original Article | http://dx.doi.org/10.14500/krc2019.Gen263

التوازن إلى ميزان مختل) وقع اختيار الباحث على صور و نماذج متعددة من السخرية.تنوعت أشكاله وتمايزت صيغه واختلفت أنماطه. وهو ما إستوجب إختيار العينات النثرية لإقامة الإجراء التطبيقي لهذا الفن الساخر من مؤلف واحد و بواقع نصوص نثرية تتفق مع اشهر ثلاثة انماط في عالم السخرية . ولعل الجدة في الطرح والصرامة في العرض والدقة في محاورة الموصفة بالعقلانية الجادة في نقل التصورات والأفكار في ادب كاتبنا سمات معهودة في ادب تصيب القارئ بالدهشة لما يتناهى الى سمعه بوصف ادبه بسمة السخرية . وقد يجد المفارقة في كون المتعارف على أسلوب مسعود محمد الجد والصرامة معا. وهنا ممكن الملابسة في إجماع النقيضين. وهذا هو الحافز الأهم الذي دفع الباحث في خوض مغامرة التجربة بغية الكشف عن خصوصية السخرية في نصوص مسعود محمد جليزاده. من خلال معاينة دقيقة لمضامين السخرية وأنماطها .ولقد تبين لنا أن أبرز أنواع السخرية في أدب مسعود محمد تتجلى في مباحث ثلاثة و هي:

1) المفارقة الساخرة
2) الإنتقادية الساخرة
3) التهكمية الساخرة

2. المبحث الاول: المفارقة الساخرة

لقد شغلت السياسية قلم مسعود محمد وعقله ردحا طويلا من الزمن. مع ما عرف عنه من إلتزام مفرط لا نظير له بين أقرانه في توجيه نقده اللاذع نحو أدمغة الساسية ودهاقينها. ولما لم يكن يعرف المراهنة في مواقفه تجاة الطارئين على الفلسفة الماركسية وطروحاتها النظرية، التي رأى فيها مغالطات شنيعة. وأحس بألوان من الأسى الشديد تجاه تلك الأدمغة المغلقة من مثقفي الكورد وادبائها .لما لمس منهم من مغالطات وتخرصات لا تستند إلى منطق سليم أو ادلة محكمة في التوجهات التي تبنت مخالفات ربما كانت صارخة. فقد شاء لإيمانه الصارم بمبادئه أن يقف على مسافة واحدة من كل الطروحات ؛ فلم يساير مواقف المحيطين به ولم يداهن ولو مكرها. و لم يلتزم الصمت في تفنيد في دعواتهم الواهية. بل قال ما لا يجرؤ على قوله الكثيرون ؛ وبذكاء شديد وقدرة متمرسة ناقدة في النقد البناء.

استوعب مسعود محمد طروحات الفلسفة الماركسية وانتقد أهم مرتكزاتها المتعارف عليها. في عديد مؤلفاته. لعل ابرزها (الى العظيم كورباتشوف ،و بيروستريكا غورباتشوف- نقد وتحليل، الإنسان وما حوله ، واخيرا ؛ اعادة التوازن إلى ميزان مختل) وهذا الأخير- اي المؤلف- وهو ما شغل بإسلوبة الساخر حفيضة الباحث وآثار مخيلته ودفعه لكتابة هذا البحث بغية الكشف عن خصوصة ادبة الساخر في هذا المؤلف .

وفيه - اعادة التوازن إلى ميزان مختل و وجه إلى الطارئين على الفكر الماركسي إنتقاده اللاذع برؤية مسكونة بروح ثائرة وعقلية مراهنة على صدق التوجه وحسن القصد والنية. فالسخرية هنا لم تكن غاية بل وسيلة لتدعيم رؤيته ؛و أداة لإيصال فكرة . وللقارئ أن يراجع ما تركه مسعود محمد في كتاباته الطافحة بالأسى على جيشات الأباطيل وضلالتها ؛ التي تبناها دعاة الطروحات الماركسية من مثقفي الكورد حينها ، فكانت السخرية خير وسيلة للوقوف على مضان الجهل وتفاهات القول وساذجة المقولات عند دعاة الفكر االماركسي والطارئين عليه.

ونعني -هنا- أولئك الذين- أقفلوا عقولهم على جملة من المقولات الجاهزة في أدائها وعلى إلصاق النزعة التقدمية الثورية بشخصية الشاعر الكوردي العظيم (حاجي قادري كوي). وإدعاء إيمانه بمحاربة الطبقية ومناهضته لصورها.لقد جاء الرد ساخرا ومعتمدا على منهجية صارمة لا تقبل القول دون دليل. فقد استند مسعود محمد في إنتقاد خصومه إلى الدليل البين والحجة البالغة في تزيف مقولات دعاة الماركسية وبطلان أدلتهم. فجاءت اساليبه الساخرة على صورة حوار دقيق وعميق في ردوده وعلى إصالة نادرة الحظ من قدر خصومه والاستهزاء بهم . وهو يرد عن الشاعر (حاجي قادر كوردي) فرية تقررها بعض كتابات اولئك المدعين . لتقرر أن حاجي قادر كان في إيمانه بالتقدمية الإشتراكية والثورية صورة متقدمة لذهنية سبقت زمانها . فجاءت ردود مسعود محمد لتفند بإسلوبها الساخر تلك المقولات وتدحض إدعائها المفروضة على حاجي قادر من خارج السياق الشعري. . وقد استند في ردوده على ديوانه بوصفها الوثيقة الوحيدة المعتمدة في الحوار العلمي الرصين.

لقد جاء اسلوب مسعود محمد في كتابه (إعادة التوازن إلى ميزان مختل) مستندا إلى تنويعات ساخرة ضايف فيه بين خطابين أحدهما: علمي رصين ينقض الدعوى بالدليل. ويرد الشاهد بالشاهد وينقل عن ديوان الشاعر (حاجي قادر كوي) ما يثبت صحة رأيه ويدعم رجاحة قوله.والآخر هزلي مثير يهون فيه سفاهة المدعين وضحالة ادلة المحتجين. وذلك على امتداد (١٥٠) أو يزيد. استعرض فيها آراءه في خصومه بأسلوب ساخر لا يخلو من صرامة عقل يحاور حينا يهزء حينا آخر.بيد أن السخرية لم تكن غايته بل أداته و وسيلته في التقريب والأخذ بالدليل في صور تجمع الطرافة و البهجة و الوداعة الحانية والنقد البناء.

لقد حاور خصومه بلغة تستأنس بالوقائع الدامغة والحوادث الظاهرة و المقولات الراجحة، من غير أن يجرح خصومه في مشاعرهم او ويسيء إليهم بألفاظ نابية أو يقدح في أعراضهم وينتهك حرمتهم.لقد جاءت السخرية عنده ممزوجة بروح الداعبة أو بقسوة التوجيه في مواطن السياسة وعوالمها. فهو قبل كل شيء سياسي محنك خبر طوارقها وعرف مجاهلها*(العامرى، 2008م/ 33-55) ومنها إنطلق ليقدم رؤيته من خلال تجربته الخاصة و فكره المتقد. ولنا أن نستعرض بعضا من أهم صوره الساخرة في نقد الطروحات الماركسية ممن رأى فيها مسلمات لا تقبل الجدل. ولعل موقف مسعود محمد لم يكن يستهدف الطروحات لذاتها فقط. بل سحب مقولاتها وتطبيقها على رؤية شاعر كوردي لم يعرف تلك الطروحات ولم يسمع بها لا من قريب ولا من بعيد.

ولتوضيح الأسباب التي دفعت مسعود محمد للرد بأسلوب ساخر على خصومه نلخص القضية بايجاز شديد تحقيقا للفائدة: نشرت جريد العراق في عددها (٤٠٤) ليوم (١٩٧٦/٦/٢٣)كلمة تحت عنوان "حاجي قادر الشاعر الثوري التقدمي" بقلم ئاسو، وهنا يؤكد المقال جملة من المقررات أهمها:

1) أن السيد عبدالستار طاهر شريف في كتاب (حاجي قادر الشاعر الثوري التقدمي الديمقراطي الكردي) قد فند آراء مسعود محمد في كتابه عن (حاجي قادري كويي) في أجزائه الثلاثة.
2) إبتعاد مسعود محمد عن دائرة الموضوعية وتطرقه الى مواضيع جانبية. وإغفاله لشاعرية (حاجي قادر) وموهبته الثورية ومحتواه الشعري.
3) محاربة مسعود محمد للأفكار التقدمية و الثورية ومعادته وشتمه لبعض الشخصيات (اليسارية).

4) إدعاء مسعود محمد أن (حاجي قادر) هو شاعر الطبقة الإقطاعية في كوردستان،وأن الشاعر (حاجي قادر) كان شاعرا ديوانيا عاش في كنف الأقطاعيين وجالس مجالسهم.

وهنا يجيء دور مسعود محمد ليستعرض آراء خصومه، ويعلن عن منهجه في التعامل معهم قائلا " ولو قد تتبعتني فيما كتبت لوجدتني فيه جميعا أناقش الأفكار لا أصحابها أو دراويشها أو المترزقين بها، فذلك جهد باطل لا طائل من ورائه. فالكلام في آحاد الأشياء وآحاد الأشخاص تشعث عقيم...." (محمد 1977م/٥)

وجلي من منهج مسعود محمد في السخرية هو أن السخرية ليست غاية في ذاتها. وأنها -السخرية- تختلف بحد ذاتها حسب موضوعها. فالسخرية عنده لا تستهدف الأشخاص ولا تتعلق بهم، قدر تعلقها بالمفاهيم. وقد حملت السخرية لأجلها عنده رؤية فكرية ومهارة ذهنية، تطرح فكرة بهدف تشخيص مكامن الضعف واستدارك لأخطاء وتدارك السقطات.لقد إتسمت السخرية عنده عموما بطابع من المفارقة الحادة ، التي تخلق منبها اسلوبيا ساخرا. " أقول أبتداءً أن أجمل وأنبل وأكمل ما في الكلمة المذكورة -يقصد مقال الناقدين لطروحاته- هو أنها باطلة من كل وجه فهي لم تغالط الناس بحجب تلفيق كبير وراء صدق صغير، فمن شأن قطرة الحبر أن تصبغ كأسا من الماء فيقع في الأوهام أن الماء كله حبر"(محمد 1977م/6).

إن طابع السخرية المفارقة هنا تتجلى في. فمقدرتها على احداث حـــس المفارقة، عبر كسر الأفق لدى القاريء وهي سمة من سمات اسلوبه الساخر. إذ يقول في وصف مذهب خصومه " فمن وراء هذا الإصرار الكامل نية عميقة الغور على معاداة الصدق و جراءة نادرة على الحق إنطلقت في يسر وبلا تحرج على أرض ممهدة يتخيل إنسيابها اللغوي للرأي، وكأن التلفيق هو الأصل في القول" (محمد 1977م/6). وكأن وصفه لمقولاتهم على أنها " فرية أصرت أن تكون محض خالصة نقية لا يأتيها الحق من بين يديها ولا من خلفها ولا من جوانبها"(محمد 1977م/7)

فالمفارقة تكمن في استبدال المعهود من الصيغة المقررة في ذهن القارئ في (لا يأتية الحق من بين يديه) بدلا من مرجعيتها في الوصف المخصص في الكتاب العزيز (لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه) وما في هذه المداورة من اجراء مفتعل في تحقيق سخرية تعمق الأثر في التدليل على طبيعة أراء خصومه الموغلة في البطلان ، وهنا تتجلى القدرة على ملاحظة مظاهر الضعف والقوة في مقولات الخصوم. و السخرية هنا لا تقتصر على إعادة المقولات بالقدر الذي يحاكم منطلقاتها – اي وصف حاجي قادر بالتقدمية والثورية ومحاربة الطبقية-فالصورة هنا وفق منظور مسعود محمد بـ" بإجمالها وتفصيلها لها سمات قوية الدلالة على إمتيازها بخاصيتات لا تجتمع في الشيء الواحد إلا في أندر الأحوال ، فهي بتشويهها المزري لكل ما نقلته عني من الحقائق الفاضلة في حياة حاجي قادر تسفر عن حقد متأصل على الفضائل الواقعة في مألوف الحياة غير ملونة بلون مستعار مفضل عن الحاقد"[(محمد 1977م/6).

لقد أعاد مسعود محمد (الكاتب) تشكيل رؤيته لمواقف خصومه عبر الجمع بين الشيء ونقيضه، فالرصد للأضداد عبر وصف الشيء بما هو ضده. فهو حين يصف قوة الدلالة لآراء الخصوم يفندها عبر قدرتها في تشوهها حقد دفين يأخذ شكل الألوان المستعارة بهدف التشويه. هو بهذا يعيد تشكيل المضامين في مهارة تتطلب وجود حس عال لخلق الشعور المناسب لما في الفكرة من مفارقة يصعب إدراكها، وهذا لإجراء " لا يقتصر على القدرة على رؤية لأضداد في إطار المفارقة، بل على القدرة على إعطائها شكلا في الذهن، لذلك ينطوي على قدرة تمكن المرء عند مواجهة أي شيء على الإطلاق أن يتخيل أو يتذكر أو يلاحظ شيئا ... يشكل معه تضاد مفارقة "(سي دي، 1987م /٧٥)

وإذا كانت معاداة الطبقية ومحاربة الأقطاعية لحنا شجيا يسهل إقناع الطبقة الكادحة والفقيرة و لقمة سائغة في أفواه المتشدقين والراغبين في خداع سواد الناس وبسطائهم، آملين من وراء هذه الإدعاءات الجوافة دس السم في الدسم، ليقرروا لنا حقيقة أن الأفكار التقدمية والثورية في إطاره الماركسي لم تكن وليدة اليوم. بل هي حلم كبار الشعراء وعلى رأسهم حاجي قادر. وللخصوم أن يلوذوا بكل دليل ليجدوا مخرجا من قصائد حاجي قادر في مدح الطبقة الأقطاعية وفالسؤال هنا "كيف يمكن السكوت عن قصائده نظمها في مدح من هم ينظر الرؤية الطبقية المعاصرة -دعاة الماركسية التقدمية الثورية- محسوبون على الإقطاع، فإذا تعذر طمسها وجب طمس دلالتها على أنها قيلت في آحاد الطبقة لا الطبقة نفسها... ونحن نعلم أن هذا التواء بالكلام من جنس القول بأن أبا نؤاس لم يكن يحب الخمر وإنما كان يحب آحاد الكؤوس التي يحتسها"(محمد1977م /٨).وقد لا يمكن أن نتخيل هذا الطابع الساخر المسكون بروح الدعابة المنطوي على استخفاف صريح بتلك الطروحات الواهية التي ترى في قصائد حاجي قادر في مدح لبعض السادة من الأقطاعين على أنها صورة لآحاد القصائد. وكأن هذا لاجراء يعيد إلى الأذهان طرافة الإدعاء على كراهة أبو نؤاس لآحاد الكؤوس وقد سال لعابه على أعطافها.

لقد رفض مسعود محمد فكرة ربط المفاهيم الطبقية وعله وجودها في تصورات الماركسية وأوهامها في الجدل والمراء. بفكرة زج حاجي قادر في أتون هذه الفلسفة المادية الجدلية، و لا سيما أن شاعرنا (حاجي قادر) لم يكن من دعاتها. بل وبخلاف ذلك تماما وكما تجلى ذلك في نصوصه الشعرية. دعوته القومية لأبناء جلدته إلى وحدة الكلمة ضاربا على وتر النخوة والعزة. ومداعبة الإحساسات القومية لا طبقية ، فشاعرنا لم يدع إلى حرب طبقية ولا كان في باله أن يعادي ملاك الأرض ورؤساء القبائل ومن إليهم"(محمد1977م /٧). وهذا يقطع دابر كل إدعاء وعلى الأشهاد بوجود تناحر طبقي يستسقي منه دعاة الماركسية ولو إحتمالا وجودا لمفاهيمهم عن الصراع الطبقي بما يترك مجالا ولو إتحمالا يستمد منه هؤلاء ادلة على شرعنة إطباقه على الحاضر ظلما وعدوانا. والأدلة على ضحالة هذا الإدعاء بوجود الصراع الطبقي يدعمه عدم وجود أشعار لـ حاجي قادر في حض الشغيلة إلى الثورة، كما تقرر الحقيقة تأريخية أخرى وهي "إن أول ناظم كردي في المعاني الطبقية نطق بعد موت حاجي بأربعين سنة أو أكثر"(محمد1977م /٨)

إن سحر المفارقة هنا يبدو من وجود بناء متقن يقوم على المفارقة الحادة وإن سخريتها تتشكل من قدرتها في إقناء المتلقي، وتؤثر فيه، وتنقل إليه الشعور الحاد بالمفارقة أو الضحك أو ما تنطوي عليه من مشاعر يريد الساخر أن يقولها في بنائه... وهي لا تخلو من حسن الفكاهة التي قد لا تتوفر هذه المقدرة إلا الأشخاص لديهم الكثير من القوة الفطرية والشعورية وقوة الملاحظة وطول الخبرة والراس" (العفيف 2016م /٣)

3. المبحث الثاني الانتقادية الساخرة

قد يصعب الفصل الدقيق بين السخرية وأنماطه المتعددة لوجود روابط دقيقة بين مضامينها وتشابه في معطياتها. وهنا لا بد من النظر إلى السخرية لا من جهة التقنية او بمعزل عن موضوعها. فهما وجهان لعملة واحدة. ولعل السخرية الإنتقادية إحدى أبرز صورها إنصافا. فهي بطبيعتها تجمع موضوعها إلى أداتها. وتهدف إلى السخرية من " الظواهر المدانة في الحياة ونقدها من خلال أفراد بعينهم ، أو جماعة بعينها ، أو تقليد بعينه ، سواء أكانت هذه الظواهر المنقودة المسخور منها، إجتماعية أم سياسية أم أدبية أم سلوكية شخصانية... وهي تأديبية و مؤلمة و مخزية، لأنها ما وجدت واتسمت بسمة النقد إلا لتخزي وتؤلم في آن واحد"(واقف زاده /٦)

ولعل النقد السياسي الساخر هو الأكثر هيمنة في أسلوب مسعود محمد وكتاباته وهذا راجع بالطبع إلى المخيلة السياسية ذات الطبيعة اللاإصلاحية التي كان يحملها مسعود محمد في فكره. فقد شهد الرجل الكثير من التحولات الفكرية والنظريات السياسية إمتدت على ما يقارب الثمانين عاما من التحولات إبتدأت بظهور الفكر الماركسي- اللينيني بقوة في الساحة العربية و الكردية في الستينيات وتحديدا في عهد إزدهار الماركسية في عموم العراق في عام (١٩٥٩م) ونشوء الحرب الباردة وإنقسام العالم بين القطبين الشرقي والغربي والصراع العراقي العراقي وأخيرا الصراع العراقي الكردي.

وقد عاش الرجل كل تلك المستجدات وشارك فيها. وقاد بعضا من تحولاته وكانت له فيها مناصب و مواقف يحمد بعضها وينتقد في البعض الآخر(العامري 2008م /60-99)، وبالمحصلة فإن السخرية من الواقع السياسي ليست بالأمر الهين. فهي تستدعي فطنة في قراءة الواقع وحنكه في معالجتها وذكاء في التعامل مع مستجداتها، كما أن الجمع بين السخرية والإنتقاد يحتاج إلى مران في المعالجة ودراية في التصورات المعروضة في الصور الساخرة.

ومن خلال قراءة نصوص مسعود محمد الساخرة نجد أنها ترقى إلى المستوى الفكاهي المبرر في احاين ليست باليسيرة ، فنصوصه لا تحتال لتتصنع السخرية أو تتصديها، فالغالب على هذا البعد الإنتقادي الساخر عنده أنه يأتي عفو الخاطر يحمل في طياته أهدافا يؤمن بها الكاتب، فليس السخرية عنده غاية بل وسلية تحقق هدفا وترجو إلى أحداث تغير في مفاهيم وسلوكيات خاطئة في نظره ، بل وتحتال إلى تنبيه الآخرين إلى ضرورة تجنبها. والأمثلة على هذا كثير. منها أنه في معرض حديثه عن مفاخر الماركسية الكردية، يستغرب من دعوى إتخاذ التاريخ الكردي بأحداثه وأشخاصه معينا ينهل منها الماركسي- أدلته ، بحيث لا يهم سوى أمر واحد متعين بالذات وهو إستخراجها لتدلل على صواب النظرية الماركسية من تلك الموضوعات و البرهنة على بطلان ما عداها وينتهي إلى القول " أن هؤلاء القوم (الماركسيين) يأتون التاريخ ويذبحونه ويسلخونه ثم يلفونه في كفن من نظريتهم ويقولون بعد ذلك للناس أنظروا ما أشد التناغم بين التاريخ وما نقول"(محمد 1977م /١٠) .أن السخرية هنا غير متوهمة في أثرها و أقرب إلى روح النقد اللاذع منه إلى روح الدعابة الساخرة. إلا أنه إجراء مخادع في الافتعال .لشدة التعارض بين اجراءات السلخ والذبح ثم اظهار الحرمة للميت عبر دفنه في نظرية لا تقل سخرية عن اباطيل القول. واستشراف التاريخ كوثيقة على زيف الإدعاء .

ومن يطالع قراءة مسعود محمد في انتقاداته الساخرة لطوباوية الطروحات الماركسية الكردية يرى جليا سر هذا التوجيه اللاذع إلى أولئك الذين إمتهنوا الماركسية من أبواب الإرتزاق والطمع في حطام الدنيا. أما الذين أخلصوا للعقيدة الماركسية والمتمكن من الصناعة والملتزم بقواعدها فهو أقل جلبة وأوفر حظا في أدب الخطاب. ما يعني أن الفريق الأول قد خدعوا الكردي الذي ظن حينها أن الماركسية "مظلة يرتاح تحتها الكردي المجهد المكدد و تغفر ذنوبه وتدرأ عنه الفواعل. تجد بين المتنفيئين خلالها أشد النماذج تنافرا وغرابة فكأنها فلك نوح يضم من كل زوجين إثنين. وكان الله في عون المغرقين" (محمد 1977م /11) فالسخرية هنا نابعة من محاولة البعض في أضفاء الصبغة الشمولية على الطرح الماركسي- الذي أشبه عند المدعين سفينة نوح التي حملت من كل زوج إثنين، لا في تناغمها وتآلفها بل في تنافرها وغرابه اجتمعها. وجاءت السخرية أشد مرارة لإستحالة النجاة فيها ، فالهلاك مصيرها ونهايتها المحتومة. وما حملته الحملة الأخيرة (وكان الله في عون المغرقين) من خفة في الإشارة إلى حال حتمية الغرق والزوال.هزء صريح بفداحة الخسران للملتجئ إليها.

لقد وظفت السخرية نفسها في مرتكزات نقدية حقيقة ، خاطبت العقل والوجدان معا، بهدف الضغط على حساسية الملتقي، فالسخرية هنا عملية إيجابية ومحاولة بناءةً ، ووسيلة مهذبة ؛ لتطهير المجتمع من ظواهره السلبية و عوة للتخلص من العوامل التي تهدد كيانه تحت مظلة الدعاوي الكاذبة التي تقف في طريق المجتمع وتقدمه "(الضمور ،2005 م/ ١٩-٢٠).

ومن تلك الدعاوي الباطلة التي سخر منها مسعود محمد قولهم " أنه بتطور وسائل الإنتاج تتغير علاقات الإنتاج ثم يتبعها تغير النظم الإجتماعية وما وراءها من مهام المعيشة والعقيدة.. .. فقد جعلوا آلة يصنعها البشر- بإرادته... هي السيدة المتحكمة فيه والدافعة له في مسارب المعيشة والعقيدة والأعراف وكأنها قد خلقت نفسها بنفسها نكاية بالبشر وتحديا لكرامته"(محمد 1977م/٢٠).

وتتعالى النبرات الساخرة للكاتب وهو يستعرض أمثلته في نقود ساخرة على تلك المسلمة النظرية عند دعاة الماركسية ومريديها ، وهنا يتساءل عن جدوى هذه النظريات الملغية لإرادة الإنسان... أليست هذه الطروحات هي أدنى من الأضاحيك فكيف ل ـ" المحراث أن يقود الحارث والفلاح والحداد، ومن يتعامل مع هؤلاء في بيع وشراء وجب أن تكون الذبيحة هي الآمرة الناهية على القصاب وأن تحوز الحبال والفؤوس والكلاليب شرف تسلق (أقرست)... وأن تعطى جائزة لرقعة الشطرنج وبيادقته في كل مباراة، ولا ندري على من تكون الخسارة"[محمد 1977م /٢٠].

ويبرز أثر البنية الساخرة هنا في القدرة "صياغة اسلوب ساخر بأساليب فنية فجائية حية نابضة تكشف عن قدرة التلاعب والعبث التي لا تقتصر على الكيان الشكلي ؛ هو مدعاة للضحك والسخرية بفعل ما يعرضه الشاعرمن تفرد وغرابة على وفق رؤية معينة يريد ايصالها إلى الآخرين فنثير احاسيسنا وتوقظ انفعالاتنا بفضل براعة العرض والتصوير التي تجعل من المسخور به هدفا للتسلية والمتعة من جهة والإقتصاص والثأر من جهة اخرى(عبدالله ، و سالم 2014م م307) .فعلى سبيل إستطراد نماذج عديدة تمتع بالبراعة في الإختيار والدقة في التناول. لتدلل على قوة الحجة في عرض اسقاطات الخصم وهدم غروره ، او من باب التندر والإحتيال على الخصوم بما يحقق صورة ساخرة في تمام إجزاء هذه الطرح المتهاوي. فكيف مثلا يمكن ربط " تطور الكاتب بحسب تغير القلم من الرصاص إلى الپاركر"(محمد 1977م /٢١) . لعل تداعيات هذا التفسير المادي عن مغلبي حكم المادة على إرادة البشر فيه " تكريس أبدي لصمدانية المنجل والمخرز والأبرة ووحدانيتها في صياغة المصائر، فما أروع أن يكون اللبن سيد حالبه، وأن يكون لإسكافي عبد حذائه، وأن يتحكم في العقائد والعادات و نواميس الشرف ونظم الإجتماع تحول أخشاب التسقيف إلى الأسمنت المسلح.." (محمد 1977م/21).

وبعد هذا الإستعراض لجوانب من الأمثلة الساخرة في نقض الطرح الماركسي لفكرة ربط التغيير الإجتماعي بتطور وسائل الإنتاج نجد أن نقد الخصوم و سخرية من طروحاتهم ممزوجة بروح " الفكاهة التي تقود إلى الإضحاك حينا و إبداء الإستغراب والتعجب حينا آخر. ولعل هذه الصورة من السخرية في طابعها الإنتقادي له هدف واحد. وهو الإصلاح والتقويم... والهدف فيه النقد أولا، والإضحاك ثانيا، ومنه تصوير الإنسان وطروحاته تصويرا مضحكا"(الغضنفري ، العبادي 2006م 12).

لقد آمن مسعود محمد أن شاعره (حاجي قادر كوي) لم يمت بصلة إلى تلك التصورات والطروحات النظرية التي قدمتها الماركسية في تفسيراتهاعن المادية الطبقية، وأن محاولات البعض لتقديم أشعار حاجي قادر على أنها طافحة بالمضامين الماركسية إدعاء لا طائل تحته، كمثل الإدعاء أن النبي عليه السلام هاجر إلى المدينة قبل بعثته ، و أوذى من المشركين لإمتناعه عن التبليغ"(محمد 1977م/٢٥).

ولعل من الغرابة في المصادفة التشابه بعض الأحكام في مجمل الصورة عن حاجي قادر وعصره تأتي موافقة مع بعض التحليلات و التفسيرات للطرح الماركسي. وهذا التقاطع غير المقصود مصادفة لا تخلو من الفكاهة وتتشابه عملية هنا مع موقف فكاهي ساخر وهي " أن فتاة غير متمرسة بإدارة البيت طبخت بعد زواجها طبيخا على هدى المعلومات الواردة في كتاب للأطعمة، فلما ذاق منه زوجها قال لها ما هذا الزقنبوت الذي ركبته. فقالت متعجبة كيف لا تستسيغه مع أن كتاب الطبخ يقول أنه لذيذ" (محمد 1977م/٢٥).

لقد ادى هذا الطابع الإنتقادي الموجه صوب الفرضيات الماركسية دوره في تصوير ضعف مقولاتها. واستطاع مسعود محمد بتفننه في اختيار الطروحات الأضعف في الفكر المنتقد من تصوير الخطاب السخور منه عبر مقومات وجوده . وكانت انتقاداته صوب المبادئ اكثر منه إلى الذوات وتطلعاتها. وإلى الإفكار اكثر منه إلى شخوصها . وهي تموج بمخادعات فاتنة من ارصدة اصابتها الشقاوة في الكيف والكم.

4. المبحث الثالث:السخرية التهكمية (التندرية)

قد تمتزج السخرية بصورة التهكم وتشترك معه في الدلالة. وفي المعجم تتنوع دلالته بين تهكم به و تهكم على، و يتهكم تهكما ، فهو متهكم .. وتهكم فلان بفلان :استهزأ به اسخف, وتهكم على غيره ، اشتد غضبه وحمقه عليه: (ابراهيم وآخرون ، د.ت/361) بيد أنها قد يتمايزان في الإيحاء والدلالة والغرض. فالسخرية قد تشير إلى صور كثيرة تحمل في طياته درجات من الهزء والإنتقاص من رؤيته العابثة. ومع ذلك فالتهكم يشترك مع السخرية في كونها يدلان على الهزء والتكبر والشعور بالأفضلية أكثر من ذلك، فهو يمثل درجات من السخرية. إن المتهكم يسعى لتصوير المتهكم به في أبشع المناظر التي يمكن أن تصوره. بالتالي فالتهكم تدمير للذات وكيانها، وهو أقصى من السخرية وأمر منها. بل وأشد وقعا على النفس" (وزو، 2008م /١٠)

من الناحية الوظيفية فإن للتهكم مستويات منها" التهكم بلغة شعرية منفلتة تستر وراء استعارات حادة في الإشتغال اللغوي الذي يغادر لغة السرد لتعميق التهكم نفسه "(عبدالله، وسالم،2014م/114) .والتهكم لون من ألوان السخرية مع شدة وطأتها لما لها من القوة تدميرية تتجلى في شدة أسرها وبداهة طرحها الأيديولوجي والفكري. فالتهكم أسلوب في القول محكم تشير في النفس إنفعالا ضاغطا وتصف خلقا ذميما أو فكرة عقيمة مفتعلا لا يستند إلى المنطق المقبول بطريقة هزلية لا تتفق مع متطلبات العقل والوجدان السلمين أو هيأة دميه المنظر، لا تخلو من غايتين هما التقويم والإصلاح. (الغضنفري، و العبادي2006 م 12/)

لقد عمد مسعود محمد أن يسل قلمه في نقد العديد من التصورات المجهدة في الفكر الماركسي الذي حمل المثقف الكردي أعبائه المثقلة بمراحل التاريخ وصوره الطامة بالأسى المرير آنذاك. ففي الوقت الذي يشهد العالم من حول الكردي حركة نحو تمجيد مآثر و بطولات رجالاتها على إمتداد التاريخ القديم والمعاصر. يأتي الكردي ليعلن ثورته الزائفة على رجالات خدموا هذ الشعب وذبحوا على أبواب قصور الدولتين العثمانية والفارسية. لا لشيء سوى أنهم قاوموا المحتل وخططته. وأن رجلا مثل (همزة آغا) رئيس عشير (منگور) وهو من معاصري (حاجي قادر) تمكن منه العثمانيون وبعد نفي وطول سجن أطلق سراحه. فجاءت حكومة إيران القاجارية لتعدمه سريعا بأحدى التهم التي يلتهم بها الذئب الحمل. بعد هذا هل تبقى مسوغات معاداة أو كراهية (الأقطاع) و (الثائر الطبقي) أي قيمة تذكر.على فرض أن هذا الآغا وهو واحد من هولاء الإقطاعين . لقد عاش (حاجي قادر) تلك الأحداث وعاينها وأمثلها كثير يضيق عنها المقام . وهنا يطرح مسعود محمد السؤال نفسه. هل أراد المثقف الكردي في جلبابه الماركسي الضيق أن يجد مسوغا واحدا ليقدم الشاعر (حاجي قادر) في صورة المعارض لهؤلاء الرجال الفضلاء الزائدين عن حياض القضية أو مبرر ليقدموه في صورة المناضل عن الطبقة الكادحة ويلصقوا به الأفكار الماركسية تحت مسميات الشهامة والمروءة والغيرة. ويختالوا بين الناس افتراءً عليه. بدعاوى معاداته للطبقية ، ويجعلوا من إشتراكيا تقدميا ظلما وعدوانا.

إن ما ساقه مسعود محمد من صور طافحة بالسخرية المتهكمة تعكس صورة مزرية تحاكي غباء الكردي الطبقي أو " نبحث المزينين والمبهرجين يهندمون أولئك الرجال يزوقون ثيابهم كي يشاركوا في الاحتفال الذي سيقيمه المفكر الطبقي الكردي في النصف الثاني من القرن العشرين إبتهاجا بإزالة إقطاعي... وأنه -الطبقي- مشارك في موقفه للقتلة المحتلين من آل قاجار وأنه معاد لشعور العشيرة الكردية في رمز قوتها"(محمد 1977م /٤٢).

لقد إتسمت السخرية في صورتها التهكمية عند مسعود محمد بطابع التهكم من الطروحات المفتعلة على لغة - تقول علينا بعض الأقاويل- وأن يحمل الخطاب الشعري عند حاجي قادر سفاسف الفكر الطبقي ومخالطاته . والنماذج المتهكمة كثيرة لنسوف بعضا منها. فالشيوعي الأمريكي الذي يفضل أن يكون تمثالا في إحدى ساحات موسكو على أن يكون رئيسا للجمهورية الأمريكية، لم يكن الكوردي الطبقي أسعد حظا منه. الذي " يفضل خراب العالم على أن يتم تعصير الفكر المادي بما تحتمه مقتضيات الحياة الحديثة فتنداح من حول الأفكار أطواق الخطر والتحريم والتخوين وتنهار، من حول الإرادات الإنسانية أسيجة الفرض والإكراه والحكم العرفي"(محمد 1977م /٤٢).

لقد تقوقع الفكر الماركسي في نظر مسعود محمد في عنق الزجاجة. وباتت كل ممحكات في ما يتصوره الماركسي الكردي محظورات لا يجب المساس بطهارتها المتبذلة في أطواق التحريم قد تنهار أمام أبسط التفسيرات المجابهة. وعلى الرغم ذلك تدور خيوط العرض المتهكم على سنين من يرى " جنة الله في أرضه ستتحقق في نظر الماركسي الكردي يوم يمتد جدار برلين شرقا وغربا ليكمل الطوق حول الكرة الأرضية. فيصبح بذلك عدد دوائر العرص مائة وإحدى وثمانين دائرة إحداها الكونكريت المسلح"(محمد 1977م ٣٨)

فالخطاب الساخر في تهكمه" طاقة سردية تمزج بين حدث واقعي وآخر خيالي ، لتصنع حدثا ثالثا مفترضا، لا يراد تصديقه كخبر برهاني ،بل لتعميق ما هو واقعي بصدقية متخيلة"(مطرود 2015م، 112) يتسلل إلى نوع من الرؤية الفكرية، لتنقل

لنا فداحة الصورة القائمة في بعدها الإعتباري المقزز والمتسلل في فرضية تاريخية موغلة في وحشية الجدار الفاصل بين مدينة برلين بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها. وأن هذا الكونكريت المسلح رمز لجنة أقل ما يمكن وصفها بأنها كانت محرقة لكل قيمة إنسانية إبتكرتها أدمغة الطبقة التي دعت إلى محاربة صور الإقطاع ومبادئ العدالة في زيف لا مثيل له في التاريخ الحديث. وتحت مسمى الجنة يتهكم مسعود محمد ويسوق أمنيات دعاة الطبقي في إنشاء دائرة أخرى حول الكرة الأرضية. إن الصورة الساخرة في إختراع دائرة أخرى لا تقل تهكما وتندرا في محاكمتها الهازلة التي قررتها الماركسية في ترسيخ العنصرية في صورة الاسمنت الفاصل بين ما تقوله و لا تؤمن به. وبين ما تدعيه وتعاديه جهارا نهارا. إن إستخدام مسعود محمد لصنوف الدعابة والمزاح في نقد خصومه في طروحاتها صورة من صور التهكم المثيرة للشفقة على معارضيه "وإن إختلاف ألوان السخرية (تهكما وتندرا) مشحونة بروح الجدية التي تترصد الخصم في نقاط ضعفه، مستعينة بالحوادث التأريخية ووقائعها الصارفة في إلحاق الهزل الرقيق والهزء الرشيق " (عكازى2006م /٢٧٨-٢٧٩) بخصومه.

إن ذاتا مشحونة بروح الثورية مثل (حاجي قادر كوي) يستحيل عليه بعد هذا أن يستدرجه دعاة الطبقية إلى مسارحهم الفكرية المتأففة من تقارب بين حاجي وأهل الوجاهة و رؤساء العشائر القادرين على حمل السلاح لمقارعة الأعداء. وقد عرف عن حبه لقومه ودفاعه المستميت عن هويتها وثقافتها ومكتسباتها. فكيف لمثله أن يعادي من يمثلون له عدة الثورة ومنابعه وأمله الأوحد في ميدان المقارعة. ولإستحالة إدعاء دعاة الطبقية في حق حاجي قادر وشعره . لقد بلغت تخرصات هؤلاء مراحل تهدف أن "تطوي جميع الحقائق الكبرى المكونة للروح الخلاقة في أدب حاجي ومنازعه ومطامحه ليرفع في مكانها علم واحد ماركسي المظهر يرفرف في يد صبيان الثقافة فيفرحوا به. وكأنه طيارة ورق ملون تتخايل في الأجواء(محمد 1977م/٤٧). لقد إرتبط عند الماركسي إنسداد الأفق بفلك القوالب المفروغة من الحقائق والمسلمات. واتسعت أقداره في هوان من يحلم أن يرفع علمه مرفرفا ولو في أيدي صبيه هم أقل شأنا من ينتسبوا الثقافة ومدركاتها.

وبهذه الأخيلة المتهكمة تصيد الفكر الماركسي الفرصة واحتال على الحقائق الكبرى. وهانت مطامحه لتقف في تخوم الفرص الزائفة. ولو على شكل قصاصات طائرة في الأجواء. تزهو بألوانها البارقة في أيدي صبيان الثقافة. وليس للثقافة من صبيان إلا على سبيل التندر والتهكم . وقد يتاهى التهكم بالصورة الشعرية لتحاكي تركيبة الشخصية الماركسية وسطحية آفاقها وهي تتغابى عن " دواعي القبول والإنصاف في القبول بوجود روابط الصداقة والمحبة التي جمعت وجهاء الكورد مع حاجي قادر. بل أن إصار الماركسي الكردي على وصم أولئك الوجهاء البغيظة وإختلاف العداء والإحتكاك بينهم وبين كما هي الناس، وكأنه لا يكون للتاريخ شرف إلا بوجودها(محمد 1977م/٥٢). فالتهكم هنا ليس أسلوبا يتصيد الفرص للتنكيل بالآخرين إنه رؤية نقدية تبني حججها من الوقائع التأريخية والحوادث الملموسة. وليست فرصة لبناء علاقات تهكمية تزاوج والوهم بالواقع والخيال بالفرضيات.

إن أسلوب التهكم عند مسعود محمد إجراء محصن من المضامين والأدلة المنطقية التي تأخذ من التاريخ أدلته ومضمونه. لقد ترك الكثير من الأدلة بلغة تتضاءل مساحته عند حدود المباشرة و إطارها القاموسي. واستغرقت في واقعية سحرية جادة، تدفع إلى القاريء تهكما جادا مبطنا في صياغة فنية أنيقة. إن التهكم عنده يشخص مواطن الغفلة عند المتهكم به. فهو يقول في هذا الصدد مفندا دعاوي الماركسية الكردية في حملات الحقد الموجهة صوب الفضلاء في تاريخ أمتهم ممن عرفوا في أدمغة الماركسية زورا بالأقطاعيين. على خلاف ما تعارف عليه القوميات (العرب ، الفرس، الترك) في تمجيد المقارعين للأعداء ولو كانوا من الإقطاعين وقد " ترك ألوف الأدباء من العرب والترك والفرس ومن شعوب الأرض للأحوال الغالبة في عصورهم ولم يتوعوا في إكرامهم والإشادة بفضلهم والفخر بأبداعاتهم عن طريق التحجج عليهم باللاثورية واللاطبقية واللامفلسية(محمد 1977م/٥٢).

إن المسار التهكمي هنا شديد الإثارة عند من وصفهم مسعود محمد بـ (المتمركس) الكردي. الذي وصفهم باللاواقعية. حتى كأن المتمركس الكردي يخالف سادته من الروس في أعرافهم كما يقول "إن الروس ليوقرون اليوم ذكرى رجال لهم إذا ذكرت أحدا مثلهم من الأكراد وضع الماركسي منديلا على أنفه حتى لا يصاب على ذكره بالزكام"(محمد 1977م/٥٢).

5. اهم النتائج

بعد قراءة متأنية في خطاب مسعود محمد في أبعاده وأنماطه الساخرة و الموجه صوب خصومه. والأدلة والبراهين التي استهدفت دعاة الطبقية والثورية التقدمية من الأكراد الماركسية. نقع على جملة من النتائج و هي:

1. إن السخرية من الخصوم لم تكن الغاية بل وسيلة لتشخيص المهاترات والمغالطات التي تبناها الماركسي الكردي تجاه أبناء جلدته.
2. اتجهت السخرية صوب المرتكزات الماركسية بروح مسكونة بالأدلة من الحوادث والوقائع التأريخية. التي تناقض الحجة بالحجة دون تجريح.
3. لقد عمد مسعود محمد بأسلوبه الساخر إلى هدم فرضية طالما تشدق دعاة الماركسية بها في زعم أن (حاجي قادر) الشاعر أب روحي للنزعة التقدمية الثورية، وأشد أعداء الطبقية (الإقطاعية) عبر مقاربات ساخرة ممزوجة بروح الدعابة أحيانا وقسوة التوجيه احاين أخرى.
4. السخرية هنا تنأى بنفسها عن التجريح غير المبرر و الشتائم التي تخدش الحياء أو تسيء بألفاظ نابية. فهو أسلوب المفلس من الحقائق.
5. أسلوبه الساخر هنا أقرب إلى الموضوعية منه إلى الذاتية المفرطة. فهي سخرية موجهة صوب المفاهيم لا الذوات. إنها سخرية ذهنية تحمل عصارتها الداخلية.
6. العفوية في الطرح والحدة في الجدة مقومات أدبه الساخر. والجمع بين النقيضين ورصد الاضداد علامات أسلوبيته في مواجهة الخصوم والإستهزاء بمقولاتهم.
7. أسلوبه الفكاهي المبرر نمط يبرره قدرته على إقناص الفرصة والنيل من الآخر في فطنة ودهاء.
8. إقتران خطابه الساخر بروح عقلانية وطرافة روحية، غايتها التوجيه والإصلاح والنقد.
9. مزج مسعود محمد في السخرية بين صور متهكمة تحمل في ثناياه ألوانا من الهزء والأنتقاص المر لخصومه.

6. المراجع

حامد، ابراهيم مصطفى . الزيات ، احمد حسن . النجار، محمد على المعجم الوسيط .. استانبول ــ تركيا.د.ت.د.ط.

زاده، شمسي، 1390ه، واقف الأدب الساخر. أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية. جامعة آزاد الإسلامية .

سي دي، ميويك، 1987م، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة) ، ترجمة عبد الواحد لولؤة . الجمهورية العراقية دار الرشيد النشر.

الضمور، نزار عبد الله خليل، 2005م، السخرية والفكاهة في النثر في العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، اعداد ، رسالة دكتوراه ،اشراف سمير الدروبي جامعة مؤتة ،

العامري، راهي مزهر، 2008، مسعود محمد ودوره السياسي في العراق 1919- 1968 م ، مكان النشر: بغداد.

عبدالله، شيماء نجم، سالم، ايمان رحيم، 2014م.، السخرية والتندر في الشعر الأندلسي ،مجلة التراث العلمي العربي /فصلية ، علمية ،محكمة ، جامعة بغداد ،كلية التربية، العدد 2 .

العفيف، فاطمة حسين، 2016م، الجانب النفسي للسخرية دي الشعر العربي المعاصر، محمد الماغوط ومحمود درويش واحمد مطر ز نماذج . مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية . المجلد 43/ العدد3.

عكاوي، أنعام فوال، 2006م، المعجم المفصل في علوم البلاغة. (البديع، البيان والمعاني). مراجعة احمد شمس الدين .دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى.

الغضنفري، منتصر عبد القادر، العبادي، خير الدين قاسم، 2006م، السخرية السياسية في شعر بشار بن برد ،. مجلة التربية والعلم مجلد 13، العدد 1.

فضل، صلاح، 1987م، نظرية البنائية في النقد الأدبي.. دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد . الطبعة ..؟

مطرود، كريم شغيدل، 2015م، فرضيات التهكم في السرد العراقي ،مدخل إجرائي ، ،مجلة الآداب ،الجامعة المستنصرية ، العدد 113.

هامون، فليب، ٢٠١٦م، أسلوبية السخرية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية الإجتماعية، مجلد ٤٣/العدد3./

وزو، معمرى تيزى، 2008م، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، / رسالة الماجستير، جامعة مولودي.

يقطين، سعيد، 2005م، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء- المغرب الطبعة الرابعة.